جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية بأسيوط
المجلة العلمية

عوامل التَّحوُّل إلى الزُّهد في شعر ابن سُكَّرةَ الهاشمي

Factors of the transition to asceticism in the poetry of Ibn Sukara Al-Hashimi

إعداد

د. عادل حماد القاسمي البلوي

أستاذ مشارك

جامعة تبوك –الكلية الجامعية بالوجه قسم اللغة العربية

(العدد الثالث والأربعون)

(الإصدار الثاني- مايو)

(الجزء الثالث (١٤٤٥هـ /٢٠٢٤م)

الترقيم الدولي للمجلة (ISSN) 2536- 9083
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية : ٢٠٢٤/٦٢٧١م

عوامل التَّحوُّل إلى الزُّهد في شعر ابن سُكَّرةَ الهاشمي

عادل حماد القاسمي البلوي

قسم اللغة العربية، الكلية الجامعية بالوجه، جامعة تبوك، المملكة العربية السعودية.

البريد الإلكتروني: albalawi@ut.edu.sa

الملخص :

يهدف هذا البحث إلى معرفة (عوامل التَّحوُّل إلى الزُّهد في شعر ابن سُكَّرَةَ الهاشمي)، وفي هذا البحث نهدف للكشف عن عوامل التحول بين تيارين متضادين من تيارات الشعر في العصر العباسي هما: تيار المجون، وتيار الزُّهد من خلال شاعرٍ قضى مرحلة من حياته غارقًا في بحار اللَّهو والخلاعة والمجون، من معاقرة الخمور، إلى الغزل الفاحش، إلى التصريح بذكر العورات. وعلى الرَّغم من ذلك فإنَّ الشاعر في آخر عمره نفض عن كاهله غبار اللهو والمجون، وارتدى ثياب الزهد والتوبة، وأعلن الندم والأوبة. فما العوامل التي ساعدت على لهوه ومجونه؟ وما الأسباب التي يسَّرت له طريق الزُّهد والتوبة؟ استخدم البحث المنهج الوصفي وانتهى إلى: أنَّ أهم العوامل التي أسهمت في تحوُّل الشاعر من المجون إلى الزهد: الفقر، والشيب، وانقضاء الشباب، والمرض، وعدم القدرة على تلبية مطالب المجون من قوةٍ وفتوة. ويوصي البحث بدراسة أسباب التحوُّلات النفسية للشعراء من المُجون للزُّهد، أو من الزُّهد للمُجون، وأثرُها النفسي على الشاعر والمتلقي.

الكلمات المفتاحية : الزُّهد، المجون، الشعر العباسي، ابن سُكَّرَةَ الهاشمي.

Factors of the transition to asceticism in the poetry of Ibn Sukara Al-Hashimi

Adel Hammad Al Qasimi Al Balawi
Department of Arabic Language, University College of Al-Wajh, University of Tabuk, Kingdom of Saudi Arabia.

Email: albalawi@ut.edu.sa

Abstract:

This research aims to find out (the factors of the transition to asceticism in the poetry of Ibn Sukra Al-Hashemi), and in this research, we aim to reveal the factors of transformation between two opposing trends of poetry in the Abbasi era; immorality and asceticism trends through a poet who spent a period of his life immersed in life of amusement, debauchery, and immorality, from drinking alcohol, to obscene flirtation, to declaring mention of private parts. Despite, at the end of the poet life, he swept the dust of amusement and immorality and wore the clothes of asceticism and repentance and declared remorse and repentance. What are the factors that contributed to his amusement and debauchery? What are the reasons that facilitated the path of asceticism and repentance for him? The research used the descriptive approach and concluded that the most important factors that contributed to the poet's transformation from immorality to asceticism were poverty, gray-haired, the end of youth, illness, and the inability to meet the demands of immorality in terms of strength and youth. The research recommends studying the reasons for the psychological transformations of poets from immorality to asceticism, or from asceticism to immorality, and their psychological impact on the poet and the recipient.

Keywords: *asceticism ,immorality , poetry , Ibn Sukara.*

مقدمة

يُعد شاعرنا ابن سُكَّرَةَ أحد كبار الشعراء في القرن الرابع الهجري حسب رأي النقاد، فقد جَمَع ما بين الموهبة والثقافة، وأشادوا كذلك بإجادته وفصاحته ورقَّته وإبداعه، ولكنهم أخذوا عليه إغراقه في المجون والسّخف، والتصريح بذكر العورات، ونبَّهوا كذلك على ما يتمتع به من ظُرف، وجودة طبع، وخفة روح.

ومع ذلك فإنَّ الشاعر في آخر عمره تحوَّل من المجون إلى الزُّهد، كما رأينا في ديوانه من إعلانه للتوبة والندم على ما اقترفه من آثام القول والفعل، فما العوامل التي ساعدت على لهوه ومجونه؟ وما الأسباب التي يسَّرت له طريق الزُّهد والتوبة؟ هذا ما نسعى إلى التنقيب وراءه في هذا البحث المُعَنْوَنِ بـ (عوامل التَّحوُّل إلى الزُّهد في شعر ابن سُكَّرَةَ الهاشمي).

أهمية الموضوع:

تعود أهمية الموضوع إلى أنَّ المجون يُمثِّل ظاهرةً بارزةً في ديوان ابن سُكَّرَةَ ممَّا يُرشِّحُه لأنْ نقفَ عنده بالبحث والدرس، لا سيَّما وأنَّه لم ينلْ حظَّهُ من اهتمام الباحثين، ولم يُدرَسْ بشكلٍ مفصَّلٍ على الرَّغم من تعدُّد أنماطه وتنوُّع أشكاله.

أضف إلى ذلك ما يُلاحِظُهُ قارئ ديوان ابن سُكَّرَةَ من تحوُّله الكبير من المجون إلى الزُّهد لاسيَّما في خريف عمره.

الأهداف:

يهدف هذا البحث إلى رصد العوامل التي ساعدت ابن سُكَّرَةَ على أن يسبح في بحار اللَّهو والمجون، كما يسعى إلى رصد مرحلة التحوُّل من المجون إلى الزُّهد وتحليل مبرراتها، وتسجيل مظاهرها.

مشكلة البحث وتساؤلاته:

يسعى البحث إلى الإجابة عن السؤالين الآتيين:

١. ما العوامل التي ساعدت ابن سُكَّرَةَ على اللَّهو والمُجون؟

٢. ما عوامل التحول التي يسَّرت لابن سُكَّرَةَ طريق الزُّهد والتَّوبة؟

المحتوى:

يتناول البحث النقاط الآتية:

- ابن سُكَّرَةَ ومكانته الأدبية.
- ** عوامل المجون.
- *** التحوُّل من المُجون إلى الزُّهد.
- ويخضع البحث لمعطيات المنهج الوصفي.

الدراسات السابقة:

هناك دراسات عديدة تطرقت لموضوع المجون والزهد في العصر العباسي قديمًا وحديثًا، ومن هذه الدراسات دراسة محمد بن أحمد مهدلي النهاري (١٩٩٣) بعنوان "ظاهرة المجون في شعر العصر العباسي" وقد هدفت الدراسة إلى الكشف عن حقيقة المجتمع العباسي وتوضيح الصورة الحقيقة للأدب في ذلك العصر، ولتحقيق أهداف الدراسة استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي ومن النتائج لهذه الدراسة: أن المجتمع العباسي يعج بالثنائيات والأنماط السلوكية المتنوعة والمختلفة التي تعبر عن ثقافات أفراد المجتمع العباسي، وقد أفادتنا هذه الدراسة بالحالة السلوكية للمجتمع العباسي في ذلك الزمن.

نزار عبد الله الضمور (١٩٩٧) بعنوان "شعر الزهد في القرن الرابع الهجري" وقد هدفت هذه الدراسة إلى التركيز على شعر الزهد، وأهم موضوعاته وسماته الفنية

في إقليمي العراق والشام؛ ولتحقيق هدف الدراسة استخدم الباحث المنهج التكاملي والمنهج التحليلي والمنهج التاريخي، وخلصت الدراسة إلى العديد من النتائج من أهمها: إن نشأة الزهد نشأة إسلامية، وقد استمد أصوله من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، ويعني الانقطاع عن الناس وملذات الدنيا وهو المعنى الإيجابي للزهد، وقد أفادتنا هذه الدراسة بالتنوع الموجود عن موضوعات الزهد وكان أكثرها في موضوع الموت، ووصف القبور وأحوال الدنيا والتحذير من فتنتها.

حمدة الرويلي (٢٠٢٠) بعنوان" شعراء الزهد والمجون في العصر العباسي حتى نهاية القرن الرابع الهجري" وقد هدفت هذه الدراسة إلى الكشف عن طبيعة شعر الزهد والمجون في الشعر العباسي في أواخر القرن الرابع الهجري، وأبرز من مثل هذه الأشعار من شعراء بارزين في تلك الحقبة، واعتمدت هذه الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي، وخلصت الدراسة إلى أن الزهد بالمعنى اللغوي يدور حول الحرص وعدم الرغبة، أما المجون فيعني الصلابة والانحراف، وقد أفادتنا هذه الدراسة في بيان التوجه العام للشاعر بأن الزهد هو التوجه نحو الخالق وطلب مرضاته.

* ابن سُكَّرَةَ ومكانته الأدبية:

شاعرنا هو أبو الحسن محمد بن عبد الله بن محمد بن سُكَّرَةَ (ابن علي، ١٩٧٣) الهاشمي البغدادي من ولد علي بن المهدي بن أبي جعفر المنصور الخليفة العباسي؛ ويُعرَف بابن سُكَّرَةَ، وابن رائطة أو رابطة، وقد كان وجيهًا، ينوبُ في نقابة الهاشميين ، ويساهم في الفصِل في القضايا التي ترفع إليها، وكان على صلة بالأمراء والخلفاء، والوزراء والأعيان ، ومن ينظر في ديوانه يجد فيه مدحًا جيدًا لهم، وعلاقة متينة بهم، هذه الصلة أتاحت له أن يؤاكلهم، ويشاربهم، وينادمهم، بل ويستهديهم النبيذ، وهو القائل عن نفسه (الهاشمي، ٢٠١٥، ص. ١٣٤):

فَإِنْ كنتُ منْ هَاشــمٍ فِي الذّرَى فَقَـــدْ ينْبُتُ الشَّــوكُ وَسْطَ اَلْأَقَاحِي

واتجه شاعرنا نحو الخلاعة والمجون، لعدة أسباب منها: أن سوقهما كانت رائجة في أيامه، وقد هيئت لهُ إقبال العامة والخاصة على شعر المُجون سلوك هذا المضمار.

واقترن اسم شاعرنا ابن سُكَّرَةَ باسم شاعرٍ آخر، فاقَهُ في المُجون، هو ابن الحجَّاج، حتى قيل في بغداد: إنَّ زمانًا جاد بابن سُكَّرَةَ وابن الحجَّاج لسَّخيٌّ جدًّا، وما أشبههما بجرير والفرزدق في عصريهما (بن إسماعيل، ٢٠١٢، ٣).

وابن سُكَّرَةَ لـهٌ شعر كثير، وديوانـه يُقارب الخمسين ألف بيت، منها عشرةِ آلافِ بيتٍ في قينة سوداء يُقال لها: (خمرة)، وبسبب كثرة الفحش فيه، لم يحرص على جمعه أهل الأدب، ولم يبقَ من شعره إلا نُتَفٌ قليلة، وردت في كتب التاريخ والتراجم والأدب.

وإنَّ النظر فيما وصل إلينا من شعره نَجد أنَّهٌ كان يحوي موضوعاتٍ مختلفةً، وأغراضًا متباينة، ولم يكن مقتصرًا على السَّخَفِ والمُجون فقط، ففيه مدحٌ جيدٌ للخلفاء والأمراء والأصحاب، وفيه إخوانيات تُظْهِرُ علاقته الحسنة بأهل عصره، وفيه شكوى من الزمان والفاقة، وتحسُّر على ما فاته من أعراض الدنيا.

وفي شعره كذلك نجد الرغبة بالتوبة والندم على ما اقترفه من آثام الفعل والقول، ونجد الحِكَمة حاضرة في ثنايا شعره، وهي موضوعات جادّة، وهي ظاهرةٌ في شعره خصوصًا في أخريات عمره، تردُّ الانطباع السائد عنه، الذي كرَّره أصحاب الكتب في ترجمته والإشارة إليه.

أمَّا الأغراض التي وجدت في شعره فهي المديح، والهجاء، والخمر، والمجون، والغزل، والمزاح الثقيل، والنوادر والملح، فقد مدح الخلفاء والأمراء، وهجا البخلاء والشعراء وغيرهم، وذمَّ المدن، واتَّبع في هجائه طرائق الهجاء التي تنزعِ الفضائل عن

المهجو، وإلصاقِ الرذائل به، إلى الرمي بالموبقات، وانتهاء بالسخرية التي طَبَعَتْ هجاءه بطابِعِها، فكان يرسُمُ للمهجو صورةً نفسيةً وجسديةً مشوَّهة، ويُضخِّم عيوبه، حتى يضحك الناس منه، ويسقط بينهم، فكان هجاؤه لاذعًا، يتَّقيه النَّابهون من القوم.

أمَّا غزلُهُ فمتباينٌ مختلف، بعضُهُ يتَّسمُ بالرِّقة والعفة وإظهار المعاناة، وبعضُهُ الآخر يحمل صور الغزل الفاحش يذكر مغامراته مع النساء، وهو يمزجُ غزله الصريح بوصف الخمر ومجالسها وسُقاتها وعُدّتها وأثرها في شاربيها، وبدا في هذا الجانب من شعره أنَّه عاش للمجون والخلاعة واللهو، ليس له شأن في حياة الناس الأخرى.

وقد كان أسلوب شاعرنا سهلًا متينًا، يحمل بين طياته جمال الحضارة ورقتها، وقوة الطبع وسلامة اللغة والأداء، ليثبت الثقافة الواسعة عند شاعرنا، تظهر هذه الثقافة في الاقتباس، والتورية، والإفادة من التراث، وفي براعة الاحتجاج للرأي، لذلك ظهر شيءٌ يسيرٌ من الصنعة في شعره، وخاصةً في تشابيهه البديعة، وصوره الغريبة الدالة على جموح الخيال وعلى التدبُّر في تكوينها وبنائها، وكانت وفاته سنة خمس وثمانين وثلاثمائة (القلماوي وآخرين، ١٩٦٥).

قال عنه الثعالبي: "شَاعِرٌ متَّسعُ الباع فِي أَنْوَاع الإبداع، فائقٌ فِي قَول الْملح والظرف، أحدُ الفحول الْأَفْرَاد (الثعالبي، ٢٠١٢، ص. ٣).

ويذكر ابن خلكان أنَّ "محاسن شعره كثيرة" (ابن خلكان، د.ت)، وعند الذهبي "شاعرٌ وقته ببغداد"(شمس الدين، ٢٠٠٦)، ويصفه الزركلي بأنَّه "شاعرٌ كبير" (خير الدين، ٢٠٠٢).

ويقول شوقي ضيف: "ولو عَرَف قيمة الملكة الشعريَّة التي رُزِقَها لحفظ لها حقها، ولم يسقطْ في شعر الفُحش والمآثم، ولا لطَّخ أشعاره بهذا الدنس، وله هجاءٌ

كله سخريةٌ ووخزٌ كوخز الإبر، وكان واسع الخيال إلى درجة الوهم" (ضيف، ١٩٨٠، ص. ٤٠٢).

**** عوامل المُجون**:

تضافرت عوامل عدة ساعدت ابن سُكَّرَةَ على أن يسبح في بحار المُجون بلا عائق أهمها الترف والانفتاح والتأثر بالمجتمعات الأخرى كالفرس:

١. الفُرس:

لعِبَتْ الفُتوحات وما نَتَجَ عنها من امتزاج العرب بأجناسٍ أخرى دورًا كبيرًا في شيوع ظاهرة المُجون عند الشاعر ابن سُكَّرَةَ إذ إنَّها من أهم المُتغيرات التي طرأت على المجتمع العربي في العصر الأموي والعباسي، وكان لها أثرٌ في تشكيل صورة المجتمع بملامحَ خاصة، إذ تعرَّف العرب على بيئات مختلفة في الطبيعة والحضارة.

ودخلتْ الأرضَ العربيةَ أجناسٌ مختلفةٌ غزت الجزيرة بدمائها، وأهوائها، وامتزجت بالمجتمع امتزاجًا جذريًّا، وأثَّرت فيه تأثيراتٍ جوهرية؛ حيثُ تفنَّنت في مجالس لهوها وفي أخذها بأساليب العبث الفاحش، احتوت مجالسُهم ألوانَ الرذائل وأخبَثِها، وأنواع الفواحِش وأفجَرها، عابثين بالأعراف والقيم، غير عابئين بالتقاليد والشِّيَم.

ولعلَّ أكثرَ الأممِ امتزاجًا بالمجتمع العربي في العصر العباسي، وأشدَّهم تأثيرًا فيه وتأثُّرًا به (الفُرس)، الذين كان لهم دورٌ خطيرٌ في تغيُّر صورة المجتمع العباسي، كما كان لهم إسهامٌ كبيرٌ في خَلْقِ صورةٍ تختلفُ عمَّا كان عليها، فهم الذين ساعدوا على انتشار المعايب والمثالب التي لم يكن للعرب بها عهدٌ ولا معرفة، إنَّما هي صدًى للجانب المُنحرف من الأخلاق الفارسية، وهم "الذين دفعوا الناس إلى حياة ترفٍ ألفوها هم وآباؤهم من عهد الأكاسرة، وعلَّموهم كيف يكون الإفراط في طلب الملاذ من طرقٍ فنيةٍ أكسبتهم إياها حضارتهم القديمة، هل كان يعرفُ العربُ مجالس الشراب المترفة

وحياة النعيم الناعمة لولا الفُرس، فعظماء الفُرس كالبرامكة وأمثالهم أرشدوا الناس إليها، وفنانوهم كإبراهيم الموصلي غنوهم عليها، وشعراؤهم كبشار بن برد كانوا لسانَهم الناطق بها، المُحدِّث عنها" (أمين، ١٩٩٧، ص. ٢٠٢-٢٠٣).

ولا ننسى أنَّ الدولة العباسية قامت على أكتاف الفُرس، فاتَّخذهم العباسيون وزراء لهم، فعلا شأنهم، وعظم سلطانهم، فعادوا إلى سالف عهدهم، وأحيوا سننَ آبائهم، وأفرطوا في اللهو والمجون، وغالوا في الشراب والغناء، ذلك لشعور الفرس بحريتهم فثاروا على جميع التقاليد العربية ومضوا يعبون من كؤوس اللهو والخمر حتى الثمالة، وانتشرت دورهما في كل مكان، ولم تزخر هذه الدور بالخمر وحدها، بل زخرت بالقِيَان والغلمان، وكانت مألفًا للشعراء يختلفون إليها وينظمون أشعارهم في الجواري وهن يغنينهم بينما يشربون.

وها هو ابن سُكَّرَةَ يُحدِّثُنا عن فتاةٍ من بنات فارس وقعَ في شراكِها، وأضحى أسير حُبِّها، لا تعرفُ لغتَه، ولا يشغلُها غزلَه، إنما تبغي دراهمَه، لذا يلجأ ابن سُكَّرَةَ إلى الممدوح يستعطف جانبه، ويستمطر نائلة، لينفذ رغبتها، ويقضي حاجتها (الهاشمي، ٢٠١٥):

إِنِّـــي بُليتُ بشـــادنٍ عنـــجٍ	حَسَـــنُ الشَّمَائِلَ وَافـــــرُ الكِفْلِ
يبغـــى الدَّرَاهِـــــم وَهِي مَعُوزَةٌ	عِنـــدِي فَحَبْلِي غَيـــــرْ مُتَّصِلِ
مُستَعجَـــم الْأَلْفَـــاظ أَجْهَلُ مَا	يُبـــدِي ويجهـــلُ فَهْمُـــهُ غَزَلِي
وَإِذا مَـــدَحْتُ فَلَيْـــسَ يفهمـــهُ	والفارسيـــةُ لَيْـــسَ مـــنْ عَمَلي
فَبِحَـــق مَـــــا بيني وَبَيْنَـــك منْ	ودٍ بِـــلَا زيـــــغٍ وَلَا ميـــلِ
اُمْنَـــنْ عَلَـــيّ بِقُرْبِـــهِ فَعَسَى	أَحْيَـــا بزورَتِـــه ويسمـــحُ لي
الْجُـــودُ مِنْك سجيـــةٌ أبـــدًا	والمـــدحُ والتقـــريظُ مـنْ قِبَلِي

ومن الفُرس تعلَّم العباسيون كيف يعقدون مجالس للشراب والغناء واللهو، فهم من قديم ميالون إلى الإفراط في الشراب والغناء، حتى أنَّهم اعتادوا تصريف شؤون الدولة وهم سكارى، "روى حمزة الأصفهاني أنَّ (بهرام جور) أمر الناس أن يعملوا من كل يوم نصفه ثم يستريحوا، ويتوافروا على الأكل والشراب واللهو، وأن يشربوا على سماع الغناء، فعز المغنون" (أمين، ١٩٩٧).

وفي ديوان ابن سُكَّرَةَ كثيرٌ من الأبيات والمقطعات التي تصفُ مواطن اللهو ومجالس الخمر وتقاليد الشراب، وتعُدِّدُ أسماءَ الخمر وصفاتها وتُحدِّدُ أوقاتها، وتكشفُ عن أثرها في نفوس شاربيها، وما كان له ولا لغيره من شعراء العصر العباسي أن يعرفوا هذا لولا امتزاجهم بالفُرس وتقليدهم، واطّلاعهم على آدابهم، يقول ابن سُكَّرَةَ (الهاشمي، ٢٠١٥):

يَا ســـاهر الطّرف قد بدا السحـرُ وجَمشّتْنا بنشـــرها الزَّهـــــــرُ

ورق جِلْبَـــابٌ ليلنـــا ودعـــــا إِلَى الصبـــوح الصَّبـــاح وَالْقَمَـرُ

فَمَـــا تَـــرى فِي اصْطِباح صَافِيَةٍ بكـرٍ حنـــاها فِي الحـــانةِ الْكبـرُ

رَقّتْ فَـــرَاقّتْ وَفَـــاتَ ملمسُهـــا وَلـــم يفتنـــا النَّسيـــمُ وَالنَّظَـــرُ

فَهِيَ لِمـــنْ شَـــمَّ رِيحُهَـــا أثرٌ وَهِي لِمَـــنْ رامَّ لُمْسُهـــا خَبـــرُ

تـــرَى الثّـــرَيَّا والغَـــرْبُ وَالْبـــدْرُ يَهْـــوَى وَالْفَجْـــرُ يَنْفَجِرُ

كَفٌّ عَـــرُوس لَاحَـتْ خَـــوَاتِمَهَـا أَوْ عِقْـــدَ دُرٍ فِي الجَـــوِ يَنْتَثِـــرُ

فِي رَوْضَـــةٍ راضهـــا الرّبيـــع وَمَا قَصْـــرُ فِي وَشْيِ برَدِهَـــا الْمَطَـــرُ

حَيْـثُ نَـأَى النَّـــايُ بِالْعُقُـــولِ أَبْلَغَ فِي نَيـــلِ وَتْـــرِهِ الـــوَتَرُ

٢. الحانات وبيوت القيان:

ساعد ابن سُكَّرَةَ على اللهو والمُجون انتشار الحانات وبيوت القيان وغيرها من الأماكن التي مثلت للعابث اللاهي قبلة، وللخليع الماجن كعبة، إليها يحجون، ومن متعها ينهلون، وفي جواريها يتغزلون، قَالَ ابن سُكَّرَةَ وَقد شرب فِي الْغمر بواسط (الهاشمي، ٢٠١٥):

لَيْلَتِي فِـــي الْغَمْـــــرِ دَهْـــرِيٍّ ... أَو يَقْضِي الْعُمْـــرُ عُمْـــــــرِي

مَـــرَّ لِي فِي الْعُمـــــرِ يَـــوْمٌ ... لَا أُجَـــــــازِيـــهِ بِشُكْـــــــرِ

بَيْنَ غِـــــزْلَانْ النَّصَـــــــارَى ... أَمْـــــزُجُ الـــــرِّيقَ بِخَمْـــــرِ

وقد كان للحانات قيانٌ مخْصُوصات، هدفهن جذب المرتادين والزوار، من خلال الغناء والرَّقص والمنادمة، وتهدف كلُّ قِينة في إظهار ملاحتها، وجلب الأنظار إليها.

وكانت بغداد –وغيرها– تزخر بالحانات ودور النخاسين، كما كثرت بيوت القِيان ومنها بيت ابن رامين، وبيت أبي عوف، وبيت أبي عمير النخاس (الأصفهاني، ٢٠٠٨)، ومنها كذلك بيت حرب بن عمرو الثقفي وبيت حسنويه، وبيت الأصبغ بن سنان، وبيت سيرين بن طرفان النخاس، وبيت أبي الخطاب النخاس وغيرها (الهاشمي، ٢٠١٥).

"كانت القِيان تنشأ على اللهو والغناء، وتُكثِرُ من اتّخاذ الأخدان من الشباب، وتُرسِلُ لكلِّ واحدٍ منهم أنّها له، وتتبرم بالآخرين" (ضيف، ١٩٨٠، ص. ٣٨٢)، هكذا تاجر القِيان بالعشق، وروجنَ للفسق، ووقع كثيرٌ من الشعراء في حبائلهن، ومنهم ابن سُكَّرَةَ الذي يقول في واحدةٍ منهن ليبين دورهن في مجالس الشّرب والغواية (الهاشمي، ٢٠١٥):

بِأَبَي اَلْأَسْمَـــرِ اَلَّذِي فُزْتُ مِنْـــهُ بِهِـــلَالٍ يُبَيِّنُ لِلْنـــاظِـــــرِينَا

قَـــدْ سَقَانَّا فَمَا شَفَانَـــا مَدَامـــاً وَشَرِبْنَـــا مِنْ رِيقِّـــه فَرَوِيْنـــاَ

٣. الأديرة المسيحية:

يذكر أحمد أمين أنَّ هذه الأديرة كانت مقصد الخليعيين من الشعراء والأدباء يخرجون إليها، ويشببون بفتيانها وفتياتها، ويقولون -في ذلك- القول الخليع والشعر الجميل، ولأنَّ الأديرة كانت غالبًا في أجمل المواضع وأحسنها هواءً، وتحيط بها أنواع البساتين، وجد الخمّارون في القرب منها مكانًا مناسبًا لإقامة حاناتهم (أمين، ١٩٩٧)، كما وجد الشعراء في غلمانها ما يدعوهم إلى مغازلتهم، والتشبب بهم، وها هو ابن سُكَّرَةَ يتغزلُ فِي غُلَام زطي زامر (الهاشمي، ٢٠١٥):

ظَبْـــيُ مِنْ اَلـــزَّطِ تَعَلَّقْتَـــــهُ فَصَـــارَ معشُـــوقِي وَمـــوْلَايَ

أَحْسَنَ وَالْإِحْسَـــــانُ لـــمْ يَجْمَعَا فِـــي حُسْـــنٍ إِلَّا لِبَلـــوْايَ

إِذا نَأَتْ رُوحِـــيّ عَـــنْ جِسْمِـــهِ رَدَّ لـــي النَّـــأْيُ بِالنَّـــاي

وكان لهذه الأديرة دورٌ كبيرٌ في تفشي بعض الآفات الخُلُقية نتيجة انعدام التوازن الاجتماعي، واهتزاز المعيار الخُلُقي، ففشا حبُّ الغلمان، والتعلُّق بالمرد والصبيان، وجاهر كثيرٌ من الشعراء بالغزل بالمذكر، وتغنَّوا بالصبيان، فانتشر الغزل المكشوف، وشاعت الغلاميات (الفتيات المتشبهات بالغلمان)، ولم يكن ابن سُكَّرَةَ بعيدًا عن هذا الميدان بل أسهم فيه بقسطٍ وافر، قَالَ ابن سُكَّرَةَ فِي غُلَامٍ يهواه وَهُوَ سميه (الهاشمي، ٢٠١٥):

إِذَا بِاسْمِـــي دُعِيتُ حَنَنْتُ شَـوقًا وذكَّـــرني بِـــهِ الـــدَّاعِي حَبِيبِي

فَلَيْتَ كَمـــا اتَفَقْنَا بِالأَسَـــامِي وَأَلَفْتُهَـــا اِتَفَقْنَـــا بِالْقُلُـــوبِ

وساعد على ظهور هذا الضرب من الخباثة التي تسقط الرجولة تخنث الفتيان؛

حيث كانوا يلبسون لباس النساء، وكان المُغنون يتشبَّهون بالنساء في لباسهنَّ وحركاتهن، ما يدفعُ الشعراءَ إلى التعرض لهم، والتغزل (ضيف، ١٩٨٠، ص. ٧٣) فيهم، يقولُ ابن سُكَّرَةَ فِي غُلَام بِيَدِهِ غُصْن لوزٍ قد نوَّر مزين باللؤلؤ المنظوم مشبهًا إياه بالقمر الطالع (الهاشمي، ٢٠١٥):

غُصْـــن بَان بَدَا وَفِي الْيَدِ مِنْـهُ ... غُصْـــنٍ فِيـــهِ لُؤْلُؤٌ مَنْظُـــومِ

فَتَحَيَـــرْتُ بَيْـــنَ غُصْنَيْنِ فِي ذَا ... قَمَـــرٌ طَالِـــعٌ وَفِي ذَا نُجُومِ

"وقد عُرِف النَّصارى بتعتيق الخمر، كما عُرِفوا بنظافة الآلة وجودة الشراب، وجمال الحانات، وتزيين مجالسها بأصناف الزهر والنفل، ووُصِفُوا بحسن الخُلُق ولين الجانب، ولطف المساومة، وصباحة الوجوه، وجمال القسمات؛ لذلك كان الشعراءُ، والمُجَّانُ، وأهلُ التهتك والتطرح يقصدون الأديار في الليل والنهار، ويختلطون بالرهبان والراهبات، ينادمونهم ويشربون على وجوههم، فيطربون ويلذون (محمود، ١٩٤٧،العدد. ٧٣٩) ".

وكانت الخمر تُقدَّم لرواد هذه الأديرة، وقد تحوَّلت قاعات الشراب فيها إلى مجامعَ للفتيان والشعراء، يشربون خمرها ويتغنَّون بغلمانها، يقول ابن سُكَّرَةَ في غلام (الهاشمي، ٢٠١٥):

لَنَـــا عَلَى اَلنّـــارِ "قـــدرٌ ... بِخَاتَـــمِ اَلنّـــارِ بَكـــرُ

وَعِنـــدَنَا مِـــنْ بَقَايَـــا ... صَبِيْحَـــةِ اَلْعِيْـــدِ خَمْـــرُ

وقـــد دعـــونا غـــلامًا ... كالغصـــن أعـــلاه بـــدرُ

فَاطْلَـــعْ عَلَيْنَـــا وَسَاعِـــدْ ... أَو لَا فَمَـــا لَكَ عُـــذْرُ

ويقول ابن سُكَّرَةَ فِي غُلَام تركي شرب مَعَه (الهاشمي، ٢٠١٥):

أَيُّهَـــا التـــرُكِيُّ مَـــا عِنْ ... دَكَ للصـــبِ النَحِيْـــلِ

هَـــــل إِلَى مَـــا يَسْتُـــرُ اَلْقَرْ طَـــــقُ عَنِّـــــي مـــــن سَبِيل
أَشْتَهِـــــي ذَاكَ وَأَخْشَـــــــى صَولَـــــةَ اللَّيْـــــثِ اَلْثِقِيـــــلِ

وكثيرةٌ هي الغُلاميات في ديوان ابن سُكَّرَةَ، فقد تغزَّل فِي غُلَامٍ يُعرَفُ بابن برغوث من مشاهير الملاح، وتغزَّل فِي غُلَامٍ أعرج، ولم يكن غلمان الترك والزط بمنأى عنه، ولا بمأمن من لسانه (الهاشمي، ٢٠١٥)، كما مرَّ بنا.

٤. الثراء الواسع:

ساعد كذلك على انتشار الخمر والمُجون ذلك الثَّراء الواسع الذي أصاب المجتمع؛ حيث زاد دخل الدولة حتى وصل في عهد الرشيد إلى "سبعين مليونًا ومائةٍ وخمسين ألفَ دينار (أمين، ١٩٩٧)، ولا شكَّ أنَّ الخلفاءَ وزَّعوا هذه الأموال في الناسِ رغبةً؛ في اصْطِنَاعِهِم لأنفُسهم، واتقاءَ غضبهم، وإلهاءً لهم عن السياسةِ؛ لذلك كان ديوان العطاء منبعًا متجددًا لا ينضب.

ولعلَّ فئة الشعراء أهم فئة أفادت من هذه العطايا، فهم لسان الدولة وقلم الدعاية، "فكان الشعراءُ يعتمدون في معيشتهم على الكرم الجنوني للخلفاء ومدلليهم الذين غُمروا بالمديح، فالمبالغ الطائلة كانت تُدفَع لقصيدة مديحٍ ناجحة" (نكلسن، ١٩٦٧، ص. ٦٢).

وما كسبه ابن سُكَّرَةَ من هذه المدائح جعله ذا يسارٍ وسعة، ومكَّنه من أنْ يحيا في بحبوحةٍ من العيش، وأنْ يُنفقَ في اللهو، واللعب، والتَّرف، والمُجون، وأنْ يتنعَّمَ بالخمرِ والشهواتِ، والجواري واللذات، فترك لنا أشعارًا عاريةً سافرة، مكشوفةً داعرة، فيها جزء من الحكمة والعبر، مثل قوله (الهاشمي، ٢٠١٥):

اللَّيَالِـــي تَسُـــوءُ ثمَّ تَسُر وَصُـــــرُوفُ الزَّمَانِ مَا تَسْتَقِرُ
غيرَ أَنِّي عَـــن الْحَوَادِث رَاض بعـــدَ سُخطٍ وَالعَيْشُ حُلْـوٌ وَمرُ
كُنْتُ صَبـــا بِوَاحِـــدٍ ثمَّ ثُنِّيَتْ فَلَيُّ بِالْجَمِيـــعِ وَصْلٌ وهَجْـــرُ

مَنْ كَمِثْلِي وَعَـــن يَمِينِهِ شَمْسٌ تَتَجَلَّى وَعَـــنْ شمَالي بَـــدْرُ
ذَا على خَدّهِ من الْمِسْكِ سطـــرٌ وعَلىَ طَــرفِ ذَا مِنْ اَلْغَنْجِ سَطْرُ
بَتٌّ يجْرِي عَليّ مـــن رِيقِ هذَيْنِ وَكَأْسِي شَهْـــــدٌ وَمِسْكٌ وَخَمْرُ
لِي مِنْ رِيقِ ذَا وَمُقْلَـــةِ هَـــذَا مَعَ كَأسِي سُكـــرٌ وَسُكـرٌ وَسُكـرُ

٥. الإماء والجواري:

وممَّا ساعد على انتشار المُجون -كذلك- كثرةُ الإماء وانتشارُ الجواري من الأجناس والشعوب المختلفة، وقد امتلأت بهنَّ القصور، وازدانت بهنَّ الدور، وكنَّ يتفنَّنَّ في الحِيَل التي يجذبنَ بها قلوبَ الرجال، كما كنَّ يعملنَ على إشاعة الفتنة والإغراء في نفوس الشباب، ومع الفتنة والإغراء كان اللهو والمُجون والخلاعة (خليف، ١٩٨٨، ص. ٢٨)، يقول شاعرنا في جاريةٍ زنجية (الهاشمي، ٢٠١٥):

وزنجيةٍ لمْ تَعْرِفْ اَلزِنْجُ طِفْلَـــــةٍ خُمَيْصَة بَطْنٍ مَسَّهَا عِنْدَكَ اَلْعَطَش
فَجَاءَتْكَ تَسْتَسْقِي مِنْ اَلْخَمْرِ رَيهَا فَتَرْجِعْ كَالحُبْلَى مِنْ اَلنِسْوَةِ اَلحَبَش
فَكَمْ مِنْ هَزِيلٍ مِثْلها في ضُمُورِهَا عُنِيَت بِـــــه حَتَّى تَصْلُع وَانْتَعَش

وإذا كان المؤرخون يؤكِّدون أنَّ ديوَان ابْن سُكَّرَةَ "يربي على خمسين ألفَ بَيت، فإنَّ مِنْهَا فِي جارية سَوْدَاء يُقَال لَهَا (خمرة) أَكثر من عشرَةِ آلَافِ بَيت، وَكَانَت عرضةَ نوادره وملحه" (بن إسماعيل، ٢٠١٢، ص. ٣)، وفي هذه الأبيات يقول متغزلًا بغلام (الهاشمي، ٢٠١٥):

تَظُنُ أَنِّي أَسْلـــُو كَلَّا وَربُ اَلبِنْيَّـــه
الْآنَ تَيَّـــمَ قَلْبِي بِاللِّحْيَةِ السَّجِيَّـــه
الخَدُ خَمَـرَةٌ فَضْلٍ عَلى الخُدودِ النَّقِيَّه
فِيهِ بَقِيَّة حُســـن لمْ تبْقَ مِنِّي بَقِيَّـــه

"وَحكى أَبُو طَاهِر مَيْمُون بن سهل الوَاسِطِيّ أَنَّ ابْن سُكَّرَةَ حلف بِطَلَاق امْرَأَته – وَهِي ابْنة عَمه– أَنَّه لَا يخلى بَيَاض يَوْمٍ من سَواد شعره فِي هجاء (خمرة)، وَلما شَعرت امْرَأَته بالقصة كَانَت كلَّ يَوْم إِذا انْفَتَلَ زَوجُهَا من صَلَاةِ الصُّبْح تجيئُهُ بالدَواة والقِرطاس، وَتلْزمُ مُصَلَّاهُ لُزُوم الْغَرِيم غير الْكَرِيم، فَلَا تُفَارِقهُ مَا لم يقْرض وَلَو بَيْتًا فِي ذكرِهَا وهجائها، وَقد أخرجت من عُيُون ملحه مَا يجمع الحجول وَالْغرر، ويُمتِّع السَّمع وَالْبَصَر" (بن إسماعيل، ٢٠١٢، ص. ٣).

"لقد كثرُت الجواري في العصر العباسي كثرةً مفرطةً وكان لذلك أثرٌ كبيرٌ في الحياة الاجتماعية العباسية، فكثُر نسل الجواري، واختلطت الدماء، حتى لقد كان بعض خلفاء العصر من نسل الجواري (أمين، ١٩٩٧، ص. ١٢١).

٦. مجون الحكام:

أقبل كثيرٌ من حُكَّام العصر العباسي على اللذائذ، ونالوا من المُتَع الحسية نصيبًا معلومًا؛ ومن يُطالع ما كتب المؤرخون يَلحَظُ أنَّه ما من خليفةٍ إلا وشرب الخمر ونهل من النبيذ، وأقبل عليهما إقبال النَّهم، فقلَّدهم العامّة وساروا على دربهم؛ لأنَّ الناسَ على دينِ ملوكِهم (الكناني، ١٩١٤، ص. ٧٦–٧٧).

كان الخليفة (المعتمد) مشغوفًا بالطرب، والغالب عليه المُعاقرة، ومحبَّة أنواع اللهو والملاهي (ٱبْن عَلِيّ، ١٩٧٣)، وكان الخليفةُ (القاهر) يُدمن شربَ الخمر وكان مُولعًا بالغناءِ والسماعِ (الحنفي وأبو المحاسن، ١٤٦٩)، أمَّا الخليفة (الراضي) فكان يُدمِنُ الخمرَ ومعاقرتها ويهوى مجالسة الندماء، وقد عاهد ربه على ترك الخمر ثم تحلل من عهده (الجزري، ت ٦٣٠هـ).

كذلك انغمس حُكَّام العصر العباسي في اللهو والترف، يروي المسعودي "أنَّ الخليفة العباسي (المتوكل) حين أتمَّ بناء قصره الجعفري سأل شخصًا: كيف قولك في دارنا هذه؟ فأجابه بأنَّ الناس بنوا الدور في الدنيا، وأنت بنيتَ الدُّنيا في دارك (ٱبْن

عَلِيّ، ١٩٧٣).

أمَّا قصر الخليفة (المقتدر) فقد كان فيه أحد عشر ألفَ غلامٍ خَصِيٍ من الروم وغيرها، وقد أتلف من الأموال ثمانية ملايين دينار(الحنفي وأبو المحاسن، ت ٨٧٤هـ)، ولم تكن للخليفة (المعتضد) رغبةٌ إلا في الفساد والبغاء، وقد أنفق على قصره المعروف بالثريا أربعمائة ألفَ دينار(ٱبْن عَلِيّ، ١٩٧٣).

وكان ابن سُكَّرَةَ على صلةٍ بالخلفاء والوزراء والقادة وأعيان زمانه، ومن يُطالِعُ ديوانه يجدُ فيه مدحًا جيدًا للخلفاء والأمراء والأصحاب، ويجدُ علاقةً متينةً جمعته بهم أتاحت له أن يستهديهم النبيذ، ويذكر في هذه الأبيات تأثير السّكر على شاربها، يقول (الهاشمي، ٢٠١٥):

يَا مَنْ ثناهُ وَذكـــــــرهُ ... بَينَ الــوَرَى مِسْكٌ وَعَنْبَرُ

إِنِّي كَتَبْتُ وَزَائِـــــرِي ... ظَبْي مَلِيحٌ الـــدلِ أَحْوَرُ

مُتَمَنِعٌ فِي الصَحْوِ يَسْمَحُ ... بِالْبِضَاعَةِ حِينَ يَسْكَـــرُ

وَأرى تعـــــذُرَ أمـــــرِهِ ... فِي الْكَفّ إِنْ سَكَرَ تعذرُ

فَامْنُنْ عَلَيّ بقهـــــــوةِ ... أنفُ الحبيبِ بهَا يعفـــرُ

فأنالَ مِنْـــــهُ أَنا المُنى ... وتحوزَ أَنْتَ ثَنَا وتؤجـــرُ

كذا كتب ابن سُكَّرَةَ إِلَى يحيى بن فهيد يستهديه نبيذًا (الهاشمي، ٢٠١٥) يقول:

رِسَالَـــة مــن مكـدٍ ... وشاعـــرٍ وشـريفِ

إِلَى فَتـــى مُستَبَـــدٍ ... بِكُلِ فعـــلٍ ظـــريفِ

إِلَيْكَ يَحيَى اشتَكَائـي ... صَحْـوِي بِيَوْمٍ طَرِيْفِ

وَفِي النَّبِيـــذِ سَلُـــو ... عَن الغَـــرامِ المَطيفِ

فَامْنُنْ عَليّ بضـــــمٍ مـن الدنـــــانِ كثيفِ
مُستودعٍ ذَاتَّ لـــونٍ ومطعـــمٍ حـــريفِ
كَأَنَّهَـــا وهـــمُ حسٍ أَتَى بحـــدسٍ لطيفِ
فقـــــد تبدَّد شملي وَأَنت للتـــــــأليف

لقد كانت معظم قصور الخلفاء والأمراء، والأعيان والوزراء، وأصحاب المناصب مقاصف للشراب، ومجالس للغِناء والمجون، فنرى الخليفة (المتوكل) يعقدُ في قصوره مجالسَ كثيرةً للمنادمة والشراب، وكان يُحبُّ الشراب ومن حوله الورود والرياحين (بن محمد، ١٩٦٦، ص. ١٦٠)، كما كان الخليفة (المعتز بالله) يشربُ في قصوره بين ندمائه والمغنون بين يديه (ضيف، ١٩٨٠، ص. ٩٢).

وَيسجِّلُ ابن سُكَّرَةَ في شعره تفاصيلَ مجلسِ خمرٍ ولهوٍ في قصر الْأَمِير أَحْمد بن وَرْقَا (الهاشمي، ٢٠١٥) قائلا:

للأَميـــــرِ الْجَلِيلِ لَا حطَّ مِنْ نُبْـل قَدْرِهِ
قهـــوةٌ أَشْبَهَتْ سَجَايَاهُ فِـــي كـــلِ أمـــرِهِ
ذَات صفـــوٍ كـــــوده ونسيـــمٍ كنشـــرِهِ
فَشَـــــرِبْنَا بِحَمْـــــدِهِ وانتَقَلْنَا بِشُكـــــرِهِ
وَسَمعنَـــــا غـــرائبًا من أفانينَ شِعـــرِهِ
فكأنَّا فِي الْخُلـــدِ نَرْتَعُ فِي طِيبِ زَهْـــــرِهِ

٧. ضعف الوازع الديني:

وكان لضعفِ الوازعِ الدينيّ دورٌ في انتشار المُجون لا سيَّما إبان حكم الدولة العباسية الَّذين ورثوا عن الفُرس كل ما شاع من مظاهرَ لهوٍ ومجون؛ حيث زادت حدة الفساد، وأخذ الناس بوسائل اللهو، كما حدث تحرُّرٌ من قيود الأخلاق، فضلًا عن فسادٍ في القِيَم، واختلالٍ في الموازين، وعبثٍ بموروث العرب الخُلُقِي، ومجاهرةٍ

بما يُخالف روح الإسلام"، وكأنَّنا لم نَعُدْ بإزاء دولةٍ تحكم بقوانين الشريعة الإسلامية، لذلك لم يكن غريبًا أن يتجرأ الشعراء في أشعارهم إلى حد أن يقول ابن سُكَّرَةَ (الهاشمي، ٢٠١٥):

وَلستُ مُضْمر نسكٍ كلَّا وَلَا بِعَفِيفِ
وَلَــو أسَــامَ بِدِيني لَبِعْتَهُ بَرَغِيفِ

وترجع بعض أشعار المُجَّان إلى الشاعر نفسه في محاولةٍ للتخلص من الحزن، والتغلُّب على الظروف، أو الهروب من الحياة الجادة، والفرار من الأعباءِ الثقيلةِ، ففسدت القيم، واختلطت الموازين، حتى رأينا ابن سُكَّرَةَ يدعو إلى تعطيل العقل وإهمال الفكر، والإقبال على الخمر والنساء إذ يقول (الهاشمي، ٢٠١٥):

خُذ مِنْ الدَّهْرِ مَا صفا لَك مِنْــهُ وَدَعْ الْفِكرَ فِي بَنَاتِ الطَّرِيقِ
أَي شَيْء يكونُ أطيبُ من كأسِ رحيقٍ شَيَبَتْ بــريقَ عشيقِ

هذه العوامل مجتمعةً جعلت من ابن سُكَّرَةَ شاعرًا ماجنًا لا يعرف الصحو، ولا يُفارق اللهو، ينتقل من مسامرات المُجَّان، إلى صحبة الندمان، يشرب الخمر ويتغنَّى بها، ولا تراه إلا رافعًا كأسها، أو متلذذًا بذكر اسمها، أو سكرانَ تحت سيطرتها إذ يقول (الهاشمي، ٢٠١٥):

وَيَوْمُ لَا يُقَاسُ إِلَيْهِ يَوْمٌ يلوحُ ضياؤهُ مِن غَيرِ نَارِ
أَقَمْنَا فِيهِ للذاتِ سوقًا نبيعُ الْعقلَ فِيهَا بالعقــارِ

"فهو يعيشُ للإكبابِ على اللذات، والانهماكِ في المجون، والعبّ من الخمر، وإنَّه ليقيم للمجون سوقًا يبيع فيه عقله بيع وكس بدنّ زهيد من الخمر يفقده رشده"(ضيف، ١٩٨٠، ص. ٤٠٢).

وهكذا عاش ابن سُكَّرَةَ الشطر الأول من حياته مفتونًا بالخمر، وما يتبعها من لهو، قد حلَّ عقد الإزار، وشرب لقضاء الأوطار، وكان به –دومًا– سعار إلى المجون

واغتنام الفرصة، وأمضى هذه المرحلة من حياته سادرًا لا يرعوي، مخمورًا لا يفيق، انطلق مع المنطلقين، ولهى مع اللاهين، واستخفَّ بشعائر الدين، بلا تعففٍ ولا حشمة.

*** التَّحوُّل من المُجون إلى الزُّهد:

من يُطالع ديوان ابن سُكَّرَةَ سيجدُ تطورًا وتحولًا، وتغيُّرًا وتبدلًا، وانتقالًا من المجون والإسراف فيه إلى الزُّهد والدعوة إليه، ومن المُجاهرة بالآثام إلى التوبة والاستغفار.

إنَّ الشاعر الذي "جعل كلَّ شيءٍ في الزمان والمكان يحثُّ على اللهو والطرب، إذ اجتمعت الخمر، وورد الخدود، وورد الرياض في يومٍ من أيام الشتاء الغائمة الباسمة، ما يدعو لاحتساء الخمر حتى الموت"(ضيف، ١٩٨٠، ص. ٤٠٢؛ الهاشمي، ٢٠١٥) إذ يقول:

اشْرَبْ فَلِلَيومِ فَضْلٌ لَـــو علمتَ بِهِ بادَرْتَ باللهوِ واسْتَعجَلتَ بالطَـــرَبِ
وردَ الخدودِ وَوردَ الرَّوْضِ قَدْ جَمَعَا والغيمُ مبتسمٌ وَالشَّمْسُ فِي الْحُجُبِ
لَا تَحْبِسْ الكأسَ وَاشْرَبْهَا مُشَعْشَعَةً حَتَّى تَمُوتَ بهَا مـــوتًا بِلَا سَبَبِ

ويُذكِّر الشاعر نفسه بالملكينِ والقبر، والبعث والحشر، ويدعوها إلى الاستغفار والتوبة، والندم والأوبة، وهذه الأبيات تعبر عن حال الشاعر وتحوله من المجون إلى الزهد ،فيها كثير من الاستفهامات التي تحتاج منه التوبة، قائلا (الهاشمي، ٢٠١٥):

مُحَمَّد مَا أَعدَدْتَ للقَبْرِ وَالبِلَـى وَلِلمَلَكَينِ الواقفينِ على الْقَبْـــــرِ
وَأَنتَ مُصِرٌ لَا تُراجِعُ تَـــــوْبَة وَلَا تَرْعَوي عَمَّا يُذَمُ من الْأَمـــــرِ
تَبيتُ على خَمـــرٍ تُعَاقِرُ دَنَهَا وَتُصْبِحَ مخمورًا مَرِيضًا من الْخمرِ
سَيَأتِيكَ يَوْمٌ لَا تُحاولُ دَفعُـــهُ فَقدِّم لَهُ زادًا إِلَى الْبَعْث والحشـــرِ

وفي مجال الغزل واللهو بالمرأة نجد تحولًا على مستوى القول والفعل، فابن سُكَّرَةَ الذي قال (الهاشمي، ٢٠١٥):

سَأَلتهُ فِي صحوةٍ قبْلَـــةً فردَّنِي وَالْمَوْتُ فِي ردهِ

حَتَّى إذا السُكرُ لوى رَأسَهُ قَبَلْتَهُ ألفًا بِلَا حَمـــدهِ

هو نفسه الذي قال بعد ذلك (الهاشمي، ٢٠١٥):

وأَتَاني إبْلِيسُ يَأْمرُ بالسُـــوءِ فَمَا كَانَ ذَاك لَا وهـواهُ

شِيمَة الظّرْف أَن أصونَ حَبِيبِي عَن قَبِيحٍ يرَاهُ أَو لَا يرَاهُ

لقد رأينا في شعر ابن سُكَّرَةَ تحولًا من المُجون إلى الزُّهد، وعدولًا عن اللهو والعبث إلى التوبة والاستغفار، وتمثَّلت دلائل ذلك في الكفِ عن القولِ الماجن، والإقلاع عن الفعل المستهتر، وإيثار التَّعففِ، والتعبير عن الأوبةِ، وإسداءِ النُصح، والدعوة إلى المعروف، والندم على المعاصي، وطلب الغفران.

ولا بدَّ أن نعي جيدًا أنَّ تيار الزُّهد عند الشاعر ابن سُكَّرَةَ لم يظهرْ نتيجةَ عاملٍ واحدٍ بل تعاونت عواملَ كثيرة على ظهوره ونموه، واستمراره وتطوره، ومن أهم هذه العوامل التي أسهمت في تحوُّل الشاعر من المجون إلى الزهد:

١. الفقر:

إذا كان الثراء الواسع، والغنى الفاحش من العوامل التي مهَّدت طريق المجون، وعبدت سبيل الفجور، فإنَّ الفقر والحاجة كانا من الأسباب التي دعت ابن سُكَّرَةَ وغيره إلى أن يطرقوا باب التوبة والزهد، لقد "كان من أثر هذا الفقر انتشارُ نزعةِ التصوف، فالفشل في الحياة قد يُسلِّمُ صاحبه إلى الزهد، وإقناع النفس بأنَّ نعيم الدنيا زائلٌ، وإذا حُرِمَ الدنيا فليطلب الآخرة" (أمين، ١٩٩٧، ص. ١٢١).

يقول ابن سُكَّرة معبرًا عن فقره وكاشفًا عن عوزه، وعجزه عن تدبير تكاليف العبث، وتوفير أدوات اللهو(الهاشمي، ٢٠١٥):

يَا سيدًا ظلّ فَردًا فِي سِيَادَتِهِ يُخْشَى ويُرْجَى لدفعِ الْحَادِثِ الجَلَلِ

الشَّوق يَنْهَضَنِي والعَدَم يُقْعِدُنِي فَمِنْ شَنَاكَ بِهِ مَا بِي من الْخلَلِ

إنَّ تناقض الحياة وتقلبها، وتغيُّر الأيام وتبدلها، تركا أثرًا على ابن سُكَّرَةَ الذي عرف الفقر بعد الغنى، وذاق مرارة الحاجة بعد حلاوة الترف، ويُسجِّل ديوانُهُ قولَه لبعض الوزراء (الهاشمي، ٢٠١٥):

قَلْ للرَئيْسِ الَّذِي أَنَامِلَهُ مَبْسُوطَةٌ بِالنَوَالِ مُنْخَرِقَه

حُلَت ليَّ الْميتَة الَّتِي حُرِمَتْ فَكَيفَ تَنْبُو نَفسِي عَن الصَّدَقَه

هذا التحوُّل دفع ابن سُكَّرَةَ إلى التأمل والتبصُّر، وإلى أن يحط رحاله على مرافئ الزُّهد بعدما خبر الدهر وعرك الزمان، وأدرك أنَّ الغنى لا يدوم، والنعيم لا يستمر، فأضحى إقلاعه عن المجون لا شك فيه، وإعلان التوبة لا مفر منه، فاقترب من الزُّهد درجات، وابتعد عن المجون خطوات وفي ذلك يقول (الهاشمي، ٢٠١٥):

جُملَةُ أَمْرِي أنَّني مُفلسٌ وَلَيْسَ للْمُفلسِ إخْوَانَ

وَكُلَّ ذِي عَيْشٍ بِلَا دِرْهَمٍ فَعَيْشِهِ ظُلْمٌ وَعُدْوَانَ

لقد جنح ابن سُكَّرَةَ إلى تصوير أحوال البشر المتقلبة الغادرة، وصوَّر نقائض أخلاقهم، وغدر سلوكهم، وتباين مواقفهم، كما لمس من الناس انصرافًا ونُبوًّا، وجحودًا ونكرانًا، بعد أن صار في حاجةٍ إليهم، وتبدَّل يسرُه عسرًا، وغناه فقرًا، لقد عبَّر عن أزمة ثقته بهم، وخيبة أمله فيهم.

لكن ما الذي جعل ابن سُكَّرَةَ يُعاني الفقر بعد الغنى؟

يُخبرنا شعر ابن سُكَّرَةَ أنَّ السبب الرئيس لفقره انقطاع المال بموت الممدوح، لقد جفَّ النبع، وانقطع المدد، ونضب المعين الذي طالما استقى منه، وها هو يُسجِّل أسفه على أَيَّام المهلبي الْوزير قائلا (الهاشمي، ٢٠١٥):

يَا صَاحِبي قِفَا أَبُثّكُمَـــــــا مَا قَدْ مُنِيَتْ بِـــهِ مِنْ النُّوبِ
وافَى الرّبيعُ وَقدْ أَلَّفَتْ بـــــهِ دُرَرُ السُّقَاةِ بَدَائـرَ النُخَـــبِ
فِي رَوْضَة صَبَغَ الرّبيعِ بهَا وَرْدَ الخُدُودِ بَعُصْفُرِ الْعِنَـــبِ
وَإِذا الْغُلَام أدَار فِي يَـــــدهِ صَفْـرَاء بَعْدَ المَزْجِ كالذَّهَبِ
حَمْرَاء يضْحَكُ فَوْقَ مَفْرَقِهَا ثَغْرَ الْحُبَاب كثغرِ ذِي شَنَبِ
أَسْجَدت فَوقَ الخَدِ مِنْهُ فَمِي شُكْرًا لِمَا أَولَيتَ مِـــنْ طَرَبِ
هَذَا حَدِيثٌ كَانَ لـــي وَمضَى كَالأَمْس وَلَّى ثـــــمَّ لَمْ يَثِبِ
أَيَّام كُنْتَ مِـنْ المُهَالِب فِي رُبْعِ أُغْـــنِ وَمَرْتَـــعِ خصبِ

لقد صوَّر الأيام وهي تتبدَّل من السرور والنعيم إلى الشقاء والحزن، بفعل الفقر الذي حلَّ به، والعوّز الذي عانى منه، "لقد كان يحيا –عند المهلب– في ظلٍّ ظليل، وفضلٍ جزيل، وريحٍ بليل، ونسيمٍ عليل، ثم أضحى بعد موت الوزير يلتمس المساعدة ويطلب المؤونـة، ما دعاه إلى هجر المنكرات، وتطليق اللذات" (الهاشمي، ٢٠١٥) قائلا:

فَبِمَنْ أَعُوذُ الْيَوْمَ مِنْ كَمَـــدِ لَا أَسْتَقِلُ بِهِ مِنْ الكَـــــرْبِ
والوردُ قَدْ وافَى بِنَضْرَتِـــــــهِ وَالنَّفسُ تَطْلُبُ غَايَةَ الطّـلبِ
طلَّقتُ لذاتيَّ الثَّلاث فَمَـــــا بيني وَبَين اللَّهْـــو من سَبَبِ
فَإِذا بَصُـــــــرْتُ بوردةٍ قَنِعَتْ نَفسِي بهَا وَقَصَتْ مَدَى أُرَبِّي
فعلَى السرُورُ وَكُـــــلُ فَائِدَة بعد الْوَزير سَـــلام مُحتَسِبِ

كما كتب إلَى يحيى بن فهيد يستهديه نبيذًا، ويشكو إليه فقره وعوزه بعد موت الممدوح، وانقطاع العطايا (الهاشمي، ٢٠١٥):

رِسَالَـــــة مِنْ مَكْدٍ وشَاعِـــــرٍ وَشَرِيفِ
إِلَى فَتـــــى مُسْتَبِدٍ بِكُلِّ فِعْلٍ ظَـــــرِيفِ

إِلَيْكَ يَحيَى اشتَّكائي صَحوِي بِيَوْمٍ طـــريفِ
مَوتُ الْوَزيرِ دَعَاني إِلَى التمَـــاسٍ طفيفِ
وَلم أَزَلْ وَهُــوَ حَيّ فِي كُـلِ خِصبٍ وريفِ

لقد كان ابن سُكَّرَةَ ينزل بوادٍ ممطور، وفناءٍ معمور، عند وزيرٍ مسرور، يُعطيه بغير حساب، ولا يُغلق دونه الأبواب، يُجري عليه ديمَ فضله، وبحارَ كرمه، وجداولَ بذله، وأنهارَ عطائه، ثمَّ ما لبث أنْ أفاق من غفوته بعد موت الملك، وانقطاع المدد يؤكد ذلك قوله (الهاشمي، ٢٠١٥):

مَضَى مَلَكٌ عَمَّ الْبَريَّة جُودُهُ رءوفٌ وَإِن رَاعَ الْأسودَ شفيقُ
سَكِرْتُ بِنَعمَاهُ وَجُودَ وَزِيرِهِ فَقَالَت لي الْأَيَّامُ سَوف تَفِيقُ

هذا الملك الذي طالما أنعش ابن سُكَّرَةَ بجوده الذي يفوقُ المطر، وكرمِه الذي يبذ السحاب، يستحق أن يرثيه ابن سُكَّرَةَ وأن يدعو له، فبموته تبدَّل الأمن خوفًا، والغنى فقرًا، إذ يقول (الهاشمي، ٢٠١٥):

لَا عَذَبَ الله مَيِّتًا كَانَ يُنْعِشنِي فَقَد لقِيتُ بضُرِّي مثل مَا لَاقَى
طَوَاهُ مَوْتُ طَوَى مِنِّي مَكَارِمُهُ فَذُقْتُ مِنْ بُعْدِهِ بِالْمَوْتِ مَا ذَاقَا

٢. الشيب:

يُعدُّ الشيب أبرز دوافع الزُّهد الحقيقية عند الشعراء المُجَّان في العصر العباسي، وأعظمها تأثيرًا، وأشدها وضوحًا، وغالبًا ما يكون الشاعر–بفعل الشيب– قد تاب فعلًا، وأناب حقا، أجبره الشيب على الزُّهد، ودفعه إلى التوبة، حتى لتعد أقوال الشاعر عن الزهد والتوبة تحت تأثير الشيب الأصدق من بين أقواله تحت تأثير غيره من العوامل الداعية إلى زهده، والدافعة إلى توبته وتحوُّله من المُجون إلى الزُّهد.

والشيب هو ذلك النذير الذي يُوحي باقتراب الشيخوخة، ويشي بحلولها، وينذرُ

بكبر سنِّ الشاعر الماجن، ويُشعره بعجزه، وعدم قدرته على التمادي في العصيان، كما كان الحال في شبابه، لذلك يرى نفسه مدفوعًا إلى الإقلاع عن المُجون والزُّهد فيه، والإقبال على التوبة والسعي إليها، فيقول (الهاشمي، ٢٠١٥):

وَقد كنتُ قبلَ الشيبِ أعشقُ خَمْرةَ وَتُفرِّطَ فِي عِشقي وتَضْرِط مِنْ حُبِّي

إِلَى أَن عَفا حرُهَا ودبَّبَ مِنْعَظِي وَصَارَت (قَفَا نَبْكِ) وصرتُ (أَلَّا هُبِي)

إذن لم يشب ابن سُكَّرَةَ –فقط – بل شابت –أيضًا– جاريته (خمرة) ملهمته في الخلاعة، وشريكته في المجون، يؤكد ذلك قوله (الهاشمي، ٢٠١٥):

حَسبِي سِوَاكَ وبْسِي مِنْ وِصَالِكَ لي شَغَلتُ عَنْكَ بِمَن أهواهُ فَاشْتَغِلِي

لَا تَعذِلِينِي على مَا كَانَ من مللٍ مَنْ ذَا يراكَ فَلَا يَصبُو إِلَى الْملَلِ

هَرِمَتْ حَتَّى تَنَاسَيْتُ اللَّحُونْ مَعًا وَصِرتَ مُفرغة الألحاظِ والمُقَلِ

إِن كنت أَبْصرت أسى مِنْك فِي بَصرِي فَلَا بلغت الَّذِي أهواه من أملي

وفي هذه المرحلة من مراحلِ العمر قال ابن سُكَّرَةَ أجمل الأقوال في الحكمة، والزُّهد، والقناعة، والاستعلاءِ على الصغائر، والاستغناءِ عن الغوايات، واستلهم في أشعاره سدادًا في الرأي، وحكمةً في القول (الهاشمي، ٢٠١٥):

الْجُوعُ يُطرَدُ بالرغيفِ الْيَابِسِ فعلامَ تكْثُر حَسْرَتَي ووسَاوسِي

وَالْمَوْتُ أنصَفَ حِينَ عَدَلَ قسْمَة بَين الْخَلِيفَةِ وَالْفَقِيرِ البائسِ

"إنَّ اللون الأبيض في شعر رأس الماجن أضاء له الطريق، وبدَّدَ له الظلمات، ووضَّح السبيل التي كانت غير واضحة، وأخذَ بيد كثيرٍ من المُجَّان من طريق الهاوية إلى طريق الهُدى والتُّقى، فكان إنذارًا ونذيرًا لا يمكن تجاهل وجوده، ولا يمكن إنكاره حتى لو تحايل على ذلك تحايلًا، فإنَّه حقيقةٌ لا بدَّ من مواجهتها، وتقبلها، والتعامل معها" (أبو زيد، ١٩٩٣، ص. ١١٥).

٣. انقضاء الشباب:

يتحسر أغلب الشعراء على مرحلة الشباب والفتوة، وتصوير أيامها المونقة، وأوقاتها الهانئة، ولياليها الحسان، يُلقون عليها السلام، ويُودِّعونها بألطف كلام، ويُصوِّرون النقلة الطبيعية الحتمية من الشباب إلى الهرم.

وكان انقضاء الشباب عاملًا من العوامل المهمة التي ذللت لابن سُكَّرَةَ طريق التوبة، حيث جعله يندم على ما قدَّم في شبابه، ومنحه كمالًا في العقل، ونضجًا في التجربة، وسعةً في الرؤية من ناحية، كما جعله يندمُ على ذنبه، ويستعدُّ للنهاية، واستقبال المصير المحتوم من ناحيةٍ أخرى، فيقول (الهاشمي، ٢٠١٥):

لقد بَان الشَّبَابُ وَكَانَ غضًّا لَهُ ثَمَـــــــر وأوراقٌ تَظَلُّك

وَكَانَ الْبَعْض مِنْك فَمَاتَ فَاعْلَم مَتى مَا مَاتَ بعضُكَ مَاتَ كُلّك

ويتَّخذُ ابن سُكَّرَةَ من انقضاء الشباب واعظًا ونذيرًا بانقضاء الأجل وقُرب الرحيل، فما أنْ ذبل غصنُ شبابه حتى ظهر في شعره معاني التوبة والاستغفار، وأكثر من تسبيح الله وحمده وطلب الرحمة، كما بدت معانٍ تشاؤمية تدور حول الموت والفناء والنعي والهلاك فيقول (الهاشمي، ٢٠١٥):

ذَنبي عَظِيم مَا أرى يغْفرُ فِي وصلٍ من نَكْهَتِهَا مُبَعَرُ

فَالْحَمْد لله على حكمـهِ هَذَا دَلِيلٌ أنَّني مُـــــــدَبَرُ

فالشباب مرحلة مهمة للشاعر فيها القوة والقدرة على تلبية الرغبات وسعيه وراء الملذات، بعكس مرحلة الهرم والشيخوخة التي تكثر فيها الأمراض بضعف الجسد، وتبدأ مرحلة التأمل والتفكير في الآخرة.

٤. المرض وعدم القدرة:

إنَّ المرض من المحنِ التي أصابت ابن سُكَّرَةَ ودفعته إلى أنْ يكفَّ عن الغواية، ويندمَ على المعصية، ويُعطِّلَ كؤوس اللهو، وبدا في شعره شعورٌ بالرحيل، وإحساسٌ

بالنهاية، فكان طبيعيا أنْ يتحولَ عن المجون إلى الزهد، وعن السَّخف إلى التوبة، وفي ذلك يقول (الهاشمي، ٢٠١٥):

أَنا –وَاللهِ– تَالِف آيِسٌ مِنْ سَلَامَتِي

أَو أرى الْقَامَةُ الَّتِي قَدْ أَقَامَتْ قِيَامَتِي

إنَّ حديث ابن سُكَّرَةَ عن المرض دفعه إلى تذكُّر الموت والإحساس بالنهاية، وكان هذا الإحساسُ دافعًا له ليهجرَ المُجون، ويُقلعَ عن المعاصي، ويزهدَ في الدنيا، فقد اقتربت الرحلة من نهايتها، وبدت بشائر الرحيل، وما أجدره أن يسلكَ مسلكًا يبعده عن اللهو، ويدنيه من التوبة.

ولا شكَّ أنَّ تناقض الحياة وتقلبها، وتغير الأيام وتبدلها، كان دافعًا لابن سُكَّرَةَ إلى التَّبصُّر والتأمل، والكفِّ والتحول، ودعاه إلى اتِّخاذ الزهد مرفًا أمينًا يلجأ إليه، بعد أن أدرك أنَّ الصحة لا تدوم، والعافية لا تستمر، فيقول (الهاشمي، ٢٠١٥):

أَمْسَى يُسَائِلُ عَن حالِيِّ يُخبِرُها وَكَيفَ أَمْسَيْتُ في أَهْلِي وَفِي بَلَدِي

فَقُلْتُ: حَالي بحالٍ مِنْ رثَائَتِهَا وعِلَّةُ الحالِ تُنْسِي عِلَةَ الجَسَدِ

إنَّ ضعف الشاعر في شيخوخته، وعجزه وعدم قدرته، من العوامل التي دفعته دفعًا إلى الزهد والتوبة، والكفِّ عن اللهو والمجون، فقد هرمت أحلامه، وتحطَّمت آمالُه، ولم يعد قادرًا على تلبية مطالب المجون من قوةٍ وفتوة، وبات عليه أن يكيف نفسه حسب الحالة الجديدة التي أمسى عليها من ضعف، ووصل إليها من عجز، بعد أن غدا مرمًى لسهام الصد، وهدفًا لرماح الإعراض، ومربعًا لسخرية الإماء وبُعدهن، ومرتعًا لاستهزاء النساء ونُفورهن، وفي ذلك يقول (الهاشمي، ٢٠١٥):

لما رَأَتْ كَلِّفِي بهَا وَصَبَابتي وتَأَمَّلَتْ شُمْطًا يَلُوحُ بِعَارِضِي

قَالَت: أَكَلَتْ جَنَّاك ثمَّ أَتَيْتنَا بمُدَودٍ مِنْ تَمُرُ عُمْرَكَ حَامِض

لقد أعلن ابن سُكَّرَةَ توبته حين طعن في السن، وبلغ أرذل العمر، وحلَّ به الضعف، ونزل به العجز، وأظهر الأسى لما أصابه من وهن، ما دعاه إلى هجر المُتع، وباعد بينه وبين النساء الماجنات.

وهكذا رأينا ابن سُكَّرَةَ في مراحل حياته الأولى يتغذَّى بثدي المجون واللهو، حتى إذا ما انطفأ بريقُ شبابه، وضحك المشيبُ برأسه، وتداعت عليه الأوجاع، ونزلت به العلل، حينئذٍ انقبض عن الدنيا، وغشيته سحابة صحوٍ، فرأيناه يتجنبُ شيطانَ التصابي، ويرغبُ عن اللهو، ويطرح رداء المجون، ويسكب كؤوس اللهو والشباب، ويلجأ إلى رب الأرباب، يُعلن الندم، ويطلب الصفح، قائلا (الهاشمي، ٢٠١٥):

أقرّ الله عَيْنكِ يَا جفوني فَقَدْ أَعْتَقت مِنْ رِقِّ السُّهَادِ

وَيَا عَيْني لَك الْبُشْرَى فَنَامِي وتْهَنِيكْ السَّلامَةُ يَا فُؤَادِي

نُزِعَتْ عَن الْهوَى وبَرِئَتَ مِنْهُ إِلَيْك وَكُنْتَ دَهْرِي فِي جِهَادِ

وينبغي أن نعلم أنَّ ابن سُكَّرَةَ لم يكن واعظًا أو متكلمًا أو فيلسوفًا، وإنما كان مسلمًا تائبًا مستغفرًا، ولم يكن زهدُه وليد مذهبٍ فكري، أو نظريةٍ فلسفية، إنما هو زُهد البسطاء المتمثل في العزوف عن المعاصي، والإقلاع عن المجون، والعدول عن الكلمة الفاجرة، والتوسل إلى الله بالعفيف من الألفاظ، والصالح من الأعمال، والطَّيب من الأفعال.

ولعلَّ إفراط ابن سُكَّرَةَ في مجونه عجَّل بزهده، وأسرع بتوبته التي لم تعرف ترددًا، ولم تمر بانتكاسة، أو ارتداد، وبقدر اتساع الخطأ كان الإحساس بالذنب، وكانت التوبة والعودة.

الخاتمة

يجدرُ بي في خاتمة هذا البحث أن أُسجل النتائج الآتية:

١. أبدع ابن سُكَّرَةَ شعرًا غزيرًا، وترك ديوانًا كبيرًا، يربو على خمسين ألفَ بيت، لكنَّ ديوان شعره ضاع، ولم يحرص عليه أهل الأدب لكثرة الفحش فيه، ولم يبقَ من شعره إلا نتفٌ قليلة، وردت في كتب الأدب والتراجم والتاريخ.

٢. كانت صلةٍ ابن سكرة بالخلفاء والأمراء، والأعيان والوزراء، أتاحت له أن يؤاكلهم، ويشاربهم، وينادمهم، بل ويستهديهم النبيذ، التي هيأت له أن يعيش حياة البذخ والمجون.

٣. عاش ابن سُكَّرَةَ الشطر الأول من حياته مفتونًا بالخمر وما يتبعها من لهو، قد حلَّ عقد الإزار وشرب لقضاء الأوطار، وأمضى هذه المرحلة سادرًا لا يرعوي، مخمورًا لا يفيق، انطلق مع المنطلقين، ولهى مع اللاهين، واستخفَّ بشعائر الدين، بلا تعففٍ ولا حشمة.

٤. لعبت الفتوحات –وما تبعها من انفتاح العرب على الأجناس الأخرى، وما نتج عنها من تغيُّر صورة المجتمع في العصر العباسي– دورًا كبيرًا في شيوع ظاهرة المجون عند الشاعر ابن سُكَّرَة وغيره من شعراء العصر العباسي.

٥. كان للفرس دورٌ خطير، وإسهامٌ كبير، في انتشار المعايب والمثالب في العصر العباسي، تلك التي لم يكن للعرب بها عهدٌ ولا معرفة، إنما هي صدًى للجانب المنحرف من الأخلاق الفارسية، ما كان سببًا واضحًا في انتشار اللهو والعبث، وعاملًا مهمًّا في شيوع المجون والسخف.

٦. كذلك ساعد ابن سُكَّرَةَ على اللهو والمجون انتشار دور الغناء، وشيوع بيوت القيان، وكثرة الأديرة المسيحية وغيرها من الأماكن، التي مثَّلت للعابث اللاهي

قبلة، وللخليع الماجن كعبة، إليها يحجون، ومن متعها ينهلون، وفي جواريها يتغزلون.

٧. وممَّا ساعد على انتشار المجون كذلك كثرةُ الإماء وانتشار الجواري، وازدهار سوق النخاسين وتفننهم في عرض الإماء والجواري، ومنهن من كانت تتقن فنون الأدب والغناء والشعر، مما زاد تعلق الشعراء بهن.

٨. ظلَّ ابن سُكَّرَةَ –في مراحل حياته الأولى– يتغذَّى بثدي المجون واللهو، حتى إذا ما انطفأ بريقُ شبابه، وضحك المشيبُ برأسه، وتداعت عليه الأوجاع، ونزلت به العلل، حينئذٍ انقبض عن الدنيا، وغشيته سحابة صحو، فرأيناه يتجنَّبُ شيطانَ التصابي، ويرغبُ عن اللهو، ويطرحُ رداءَ المُجون، ويسكبُ كؤوس اللهو والشباب، ويلجأ إلى رب الأرباب، يعلنُ الندم، ويطلبُ الصفح.

٩. إنَّ تيار الزُّهد عند ابن سُكَّرَةَ لم يظهر نتيجة عاملٍ واحد، بل تعاونت عواملُ كثيرةٌ أسهمت في تحوُّل الشاعر من المُجون إلى الزُّهد أهمها: الفقر، والشيب، وانقضاء الشباب، والمرض، وعدم القدرة على تلبية مطالب المجون من قوةٍ وفتوة.

التوصيات:

دراسة أسباب التحوُّلات النفسية للشعراء من المُجون للزُّهد، أو من الزُّهد للمُجون، وأثرُها النفسي على الشاعر والمتلقي.

قائمة المراجع

١-بن إسماعيل، الثعالبي عبد الملك بن محمد. (١٩٠١). المنتحل. الإسكندرية: المطبعة التجارية.

٢-بن إسماعيل، الثعالبي عبد الملك بن محمد. (٢٠١٢). يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر. بيروت: المكتبة العصرية.

٣-الأصفهاني، أبو الفرج. (٢٠٠٨). الأغاني. بيروت: دار صادر.

٤-أمين، أحمد. (١٩٩٧). ضحى الإسلام. مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٥-البستاني، بطرس. (١٩٦٨). أدباء العرب في الأعصر العباسية. بيروت: دار الثقافة.

٦-البكري، النويري شهاب الدين أبو العباس أحمد بن عبد الوهاب عبادة. (١٩٢٤). نهاية الأرب في فنون الأدب. مصر: دار الكتب المصرية.

٧-الجزري، ابن الأثير أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني. (ت ٦٣٠هـ). الكامل في التاريخ. بيروت- لبنان: دار الكتاب العربي.

٨-الحنبلي، عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد. (١٣٧٠هـ). شذرات الذهب في أخبار من ذهب. القاهرة: مكتبة القدس.

٩-الحنفي، الظاهري يوسف بن تغري بردي بن عبد الله؛ أبو المحاسن، جمال الدين. (ت ٨٧٤هـ). النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة. مصر: وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب.

١٠-الخطيب، البغدادي أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي. (٢٠٠٢). تاريخ بغداد. بيروت: دار الغرب الإسلامي.

١١-ابن خلكان، أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر. (د.ت). وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. بيروت: دار صادر.

١٢-خليف، يوسف. (١٩٨٨). تاريخ الشعر في العصر العباسي. الأردن: دار الثقافة للنشر والتوزيع.
١٣-خير الدين، الزركلي. (٢٠٠٢). الأعلام. لبنان: دار العلم للملايين.
١٤-أبو زيد، علي إبراهيم. (١٩٩٣). زهد المجان في العصر العباسي. مصر: دار المعارف للطباعة والنشر.
١٥-الشكعة، مصطفى. (١٩٨٠). الشعر والشعراء في العصر العباسي. (ط٥)، بيروت: دار العلم للملايين.
١٦-شمس الدّين، الذهبي. (٢٠٠٦). سير أعلام النبلاء. القاهرة: دار الحديث.
١٧-الصفدي. (٢٠٠٠). الوافي بالوفيات. بيروت: دار إحياء التراث.
١٨-ضيف، شوقي. (١٩٨٠). تاريخ الأدب العربي (عصر الدول والإمارات). (ط٢)، القاهرة: دار المعارف.
١٩-أبو العباس، المقري أحمد بن محمد بن أحمد بن يحيى. (٢٠١٤). نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب. أبو ظبي: دار الكتب الوطنية.
٢٠-ٱبْن عَلِيّ، المسعودي أَبُو ٱلْحَسَن عَلِيّ ٱبْن ٱلْحُسَيْن. (١٩٧٣). مروج الذهب ومعادن الجوهر. (ط٢)، بيروت: دار الأندلس للطباعة والنشر.
٢١-بن علي، التنوخي المحسن. (١٩٩٥). نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة. لبنان: دار صادر.
٢٢-القلماوي، سهير؛ مدكور، إبراهيم؛ محمود، زكي نجيب؛ شوشة، علي توفيق؛ غربال، شفيق. (١٩٦٥). الموسوعة العربية الميسرة. القاهرة: دار الشعب ومؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر.
٢٣-الكناني، الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر. (١٩١٤). التاج في أخبار الملوك. بولاق: المطبعة الأميرية.
٢٤-بن محمد، الجوزي جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي. (١٩٩٢).

المنتظم في تاريخ الأمم والملوك. بيروت: دار الكتب العلمية.
٢٥-بن محمد، الشابشتي أبو الحسن علي. (١٩٦٦). الديارات. بغداد: مكتبة المتنبي.
٢٦-محمود، شكري. (١٩٤٧). الخمرة النصرانية ومجالسها في العصر العباسي. مجلة الرسالة، (٧٣٩)، ٩٥١-٩٥٤.
٢٧-نكلسن، رينولد. (١٩٦٧). تاريخ الأدب العباسي. بغداد: المكتبة الأهلية.
٢٨-الهاشمي، ابن سُكَّرَةَ. (٢٠١٥). ديوان ابن سُكَّرَةَ. بيروت: منشورات الجمل.

References

Abu al-Abbas, al-Muqri' Ahmad ibn Muhammad ibn Ahmad ibn Yahya. (2014). Nafahat al-Thib min Ghasn al-Andalus al-Ratib. Abu Dhabi: Dar al-Kutub al-Wataniya.

Abu Zayd, Ali Ibrahim. (1993). Zuhd al-Mujan fi al-'Asr al-'Abbasi. Egypt: Dar al-Ma'arif lil-Tab' wa al-Nashr.

Al-Bakri, al-Nuwayri, Shihab al-Din Abu al-Abbas Ahmad ibn Abd al-Wahhab 'Ubada. (1924). Nihayat al-Arab fi Funun al-Adab. Egypt: Dar al-Kutub al-Misriyah.

Al-Hanafi, al-Dhahiri, Yusuf ibn Taghri Birdi ibn Abd Allah; Abu al-Mahasin, Jamal al-Din. (d. 874 AH). al-Nujum al-Zahirah fi Muluk Misr wa al-Qahira. Egypt: Wizarat al-Thaqafa wa al-Irshad al-Qawmi, Dar al-Kutub.

Al-Hanbali, Abd al-Hayy ibn Ahmad ibn Muhammad ibn al-'Imad. (1370 AH). Shadharat al-Dhahab fi Akhbar Man Dhahab. Cairo: Maktabat al-Quds.

Al-Hashimi, Ibn Sukarah. (2015). Diwan Ibn Sukarah. Beirut: Manshurat al-Jamal.

Al-Isfahani, Abi al-Faraj. (2008). al-Aghani. Beirut: Dar Sadir.

Al-Jazari, Ibn al-Athir, Abu al-Hasan Ali ibn Abi al-Karam Muhammad ibn Muhammad ibn Abd al-Karim ibn Abd al-Wahid al-Shaybani. (d. 630 AH). al-Kamil fi al-Tarikh. Beirut– Lebanon: Dar al-Kitab al-'Arabi.

Al-Kanani, al-Jahiz Abu 'Uthman 'Amr ibn Bahr. (1914). al-Taj fi Akhbar al-Muluk. Bulaq: al-Matba'ah al-Amiriyyah.

Al-Khatib, al-Baghdadi, Abu Bakr Ahmad ibn Ali ibn Thabit ibn Ahmad ibn Mahdi. (2002). Tarikh Baghdad. Beirut: Dar al-Gharb al-Islami.

Al-Qalamawi, Suhayr; Madkur, Ibrahim; Mahmoud, Zaki Najib; Shousha, Ali Tawfiq; Gharb al-Batal, Shawfiq. (1965). al-Mawsu'ah al-'Arabiyyah al-Misairah. Cairo: Dar al-Sha'b wa Mu'assasat Franklin lil-Tab' wa al-Nashr.

Al-Safadi. (2000). al-Wafi bi al-Wafayat. Beirut: Dar Ihya' al-Turath.

Al-Shuka'a, Mustafa. (1980). al-Shi'r wa al-Shu'ara' fi al-'Asr al-'Abbasi. (5th ed.), Beirut: Dar al-'Ilm lil-Milalin.

Amin, Ahmad. (1997). Duha al-Islam. Egypt: al-Hay'ah al-Misriyah al-'Amah li al-Kitab.

Bustany, Butrus. (1968). Adab al-Arab fi al-A'shr al-'Abbasi. Beirut: Dar al-Thaqafa.

Daif, Shawqi. (1980). Tarikh al-Adab al-'Arabi ('Asr al-Duwal wa al-Imarat). (2nd ed.), Cairo: Dar al-Ma'arif.

Ibn Ali, al-Mas'udi, Abu al-Hasan Ali ibn al-Husayn. (1973). Muruj al-Dhahab wa Ma'adin al-Jawhar. (2nd ed.), Beirut: Dar al-Andalus lil-Tab' wa al-Nashr.

Ibn Ali, al-Tanukhi, al-Muhsin. (1995). Nashwar al-Majlis wa Akhbar al-Mudhakira. Lebanon: Dar Sader.

Ibn Ismail, al-Tha'alibi, Abd al-Malik ibn Muhammad. (1901). al-Muntahul. Alexandria: al-Matba'ah al-Tijariyah.

Ibn Ismail, al-Tha'alibi, Abd al-Malik ibn Muhammad. (2012). Yatimat al-Dhuhr fi Mahasin Ahl al-Asr. Beirut: al-Maktaba al-Asriyah.

Ibn Khallikan, Ahmad ibn Muhammad ibn Ibrahim ibn Abi Bakr. (n.d.). Wafayāt al-A'yān wa Anbā'

Ibn Muhammad, al-Jauzi Jamal al-Din Abu al-Faraj 'Abd al-Rahman ibn Ali. (1992). al-Muntakhab fi Tarikh al-Umam wa al-Muluk. Beirut: Dar al-Kutub al-'Ilmiyyah.

Ibn Muhammad, al-Shabushti Abu al-Hasan Ali. (1966). al-Diyarat. Baghdad: Maktabat al-Mutanabbi.

Khalif, Yusuf. (1988). Tarikh al-Shi'r fi al-'Asr al-'Abbasi. Jordan: Dar al-Thaqafa lil-Nashr wa al-Tawzi'.

Khayr al-Din, al-Zarkali. (2002). al-'Alam. Lebanon: Dar al-'Ilm lil-Milalin.

Mahmoud, Shukri. (1947). al-Khamra al-Nasraniyyah wa Majalisuha fi al-'Asr al-'Abbasi. Majallat al-Risala, (739), 951-954.

Nicholson, Reynold. (1967). Tarikh al-Adab al-'Abbasi. Baghdad: al-Maktaba al-Ahliyyah.

Shams al-Din, al-Dhahabi. (2006). Sirat 'Alam al-Nubala'. Cairo: Dar al-Hadith.